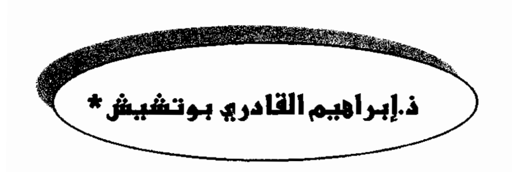

دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

البحث التاريخي والإنترنيت



ذ.إبراهيم القادري بوتشيش *

يجمع الدارسون على أن البحث العلمي هو عملية استقصاء دقيق ومنظم يهدف إلى اكتشاف حقائق وقواعد عامة(1) ، وإضافة معارف جديدة يمكن التحقق من صحتها عن طريق الاختبار العلمي(2). وإذا كان علم التاريخ ينتمي إلى حقل العلوم الإنسانية التي لا تخضع لعملية التجريب، فإنه يبقى مع ذلك خاضعا لعملية التأمل والفحص والتدقيق والنقد إذ هو حسب ابن خلدون (1) (محتاج إلى مآخذ متعددة ومعارف متنوعة وحسن نظر وتثبت يفضيان بصاحبهما إلى الحق وينكبان به عن الزلات والمغالط).و(في باطنه نظر وتحقيق، وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق، وعلم بكيفية الوقائع وأسبابها عميق) (4).

وإذا كان البحث التاريخي قد حقق هذه القفزة النوعية منذ عصر ابن خلدون (القرن 14م)، فإنه – على غرار مختلف البحوث الاجتماعية الأخرى – عرف بدوره تحولات كثيرة مع مدرسة المادية التاريخية ومدرسة الحوليات الفرنسية إلى جانب المدرسة الأمريكية. غير أن الأثر الملفت للانتباه هو ما برز خلال العقدين الأخيرين من ثورة معلوماتية هائلة عكستها شبكة الإنترنيت، علما بأن هذه الأخيرة تعد إحدى واجهات العولمة التي أصبحت الظاهرة المهيمنة على مجتمعنا المعاصر.

ودون الدخول في تحليل مفهوم العولمة ودلالاتها على جميع المستويات(5) نكتفي بالقول إن العديد من المتخصصين، حللوا آثارها على الصعيدين الاقتصادي والسياسي. لكن يبدو أن الجانب المعرفي والبحث الاجتماعي على الخصوص لم

---

* أستاذ باحث بكلية الآداب والعلوم الإنسانية ـــ مكناس.

يحظ بنفس الاهتمام. وبما أن التاريخ يندرج ضمن مجال العلوم الاجتماعية، فإن عملية البحث فيه ستخضع بدورها لرياح التغيير التي طالت مختلف العلوم بفضل ما أحدثته العولمة من ثورة معلوماتية تمثل شبكة الإنترنيت أهم إفرازاتها.

والجدير بالملاحظة أن ثمة علاقة واضحة بين الشبكة المعلوماتية والبحث التاريخي، ذلك أن عمل المؤرخ يرتكز بالأساس على "المعلومة" أو ما يسمى ب "المادة التاريخية" التي تشكل حجر الزاوية في بحثه، وهو نفس ما يقوم به الإنترنيت الذي يهتم ب"المعلومة" كذلك. وتأسيسا على هذا القاسم المشترك والمتكامل في نفس الوقت، فإن وقع الشبكة المعلوماتية العالمية يصبح قويا في حقل البحث التاريخي. فأين يتجلى أثرها على البحث التاريخي ؟ وما هو مستقبل المؤرخ في ظل هذه التحولات التي تفرزها الثورة المعلوماتية ؟

لا مراء في أنه منذ بداية اعتماد شبكة الإنترنيت كبنية أساسية تحتية لمصادر المعلومات، أصبحت هذه الشبكة ميدانا للباحثين والكتاب وطلاب الجامعات. ومن المستحيل أن نجد اليوم جامعة من الجامعات الغربية تخلو من الحواسب المرتبطة بشبكة الإنترنيت .

وقبل الحديث عن الخدمات التي تقدمها هذه الشبكة للمؤرخ، لابد من الإشارة إلى أن جهاز الحاسوب الذي تنتظم الشبكة بواسطته أصبح اليوم الرئة التي يتنفس بها المؤرخ. ولا يمكن على الإطلاق أن نتصور اليوم باحثا في مجال التاريخ لا يمتلك جهاز حاسوب، إذ بواسطته يمكن اختصار كثير من المراحل التي كانت تشكل فيما مضى عبئا عليه نذكر من بينها على سبيل المثال لا الحصر :

- كتابة نص البحث متنا وهوامش حسب الطريقة التي يفضلها الباحث وتغييرها بسرعة فائقة حسبما تقتضيه رغبته من تعديلات وإضافات(6).
- ترتيب البيلوغرافيا حسب الحروف الأبجدية بنقرة واحدة على الفأرة بعد أن كانت هذه العملية تأخذ حيزا هاما من وقت المؤرخ، فضلا عمّا كان ينجم عند بعض الباحثين من أخطاء في ترتيب المراجع رغم حرصهم على تجنبها(7).
- إتاحة فرص أكثر لاستخدام الجداول والإحصائيات والرسوم البيانية التي تشكل عملا أساسيا من عمل المؤرخ إذ أصبح الجدول والخريطة والرسم البياني والصورة يشكل لغة خاصة في الكتابة التاريخية المعاصرة تقوم مقام النص المكتوب(8).
- إمكانية استخدام قرص الليزر (CD.ROM) لتوثيق بعض المعلومات أو استخدام بعض صور الفيديو منها لتوظيفها في البحث التاريخي.

وينجم عن ذلك كله اختزال الوقت الذي هو مكسب مهم للمؤرخ إذ يمكن على سبيل المثال بدلا من كتابة نص وثيقة طويلة نقلها على الماسحة الضوئية (سكانير) في متن النص. كما يمكن ترجمتها للعديد من اللغات حسب برامج معينة.

أما بالنسبة للخدمات التي تقدمها شبكة الإنترنيت للبحث التاريخي فهي كثيرة ومتعددة ويمكن رسم ملامحها في ما يلي :

1- إمكانية حصول المؤرخ على كم من المعلومات التي تخص مجال أبحاثه. وتتميز هذه المعلومات بطراوتها أي أن الأنترنيت يمد الباحث بأحدث ما وصل إليه البحث العلمي. كما تتميز أيضا بالاستمرارية والتدفق المتواصل Continuité إذ يستمر تدفق المعلومات الخاصة بموضوع معين كلما طرأ عليه جديد. وغالبا ما تتم عملية الحصول على هذه المعلومات بأقل تكلفة، فمثلا هناك بعض المعلومات التي يتم الحصول عليها بالمجان، بينما هناك مصادر معلومات أخرى مثل بعض الدوريات الإلكترونية التي لا يسمح بدخول موقعها إلا عبر رمز سرّي بعد تسديد رسم للاشتراك وهو على كل حال أقل كلفة من الدورية الورقية (9).

2 ــ نقل الملفات المتضمنة للأبحاث التاريخية من مؤرخ لآخر بأسرع وقت وأقل تكلفة. ويمكن لبرنامج FTP أن يقدم خدمة هامة لنقل نص البحث من حاسوب باحث واستقباله من طرف حاسوب باحث آخر وبسرعة فائقة(10).

3 ــ توفر شبكة الإنترنيت إمكانية الاتصال بين المؤرخين في مختلف الجامعات العالمية، وتقلص من بعد المسافات بينهم، لأنها أفلحت في تجاوز الحدود الجغرافية وجمع العالم على أرض واحدة. فبعد أن كان الاتصال يتعذر جدا بسبب بعد المسافات، أصبحت إمكانية الاتصال عن طريق البريد الإلكتروني E Mail وتبادل المعلومات والرسائل بواسطته تشكل ثورة هامة قضت على التشتت الذي كان يسود بين الباحثين. ولا غرو فبإمكان المؤرخ اليوم أن يتبادل المحاضرات التي يلقيها على الطلبة مع مؤرخ آخر في بلد أجنبي. ونجد أن موقع Edu يقدم دائما معلومات علمية موثقة، وهو غالبا ما يرمز إلى الجامعات التي تضع في متناول زائري هذا الموقع محاضرات أساتذتها وكذلك عناوين أبحاثهم ومنشوراتهم وأحيانا النص الكامل لأطروحاتهم. وهكذا أصبحت الإنترنيت وسيلة توفر فرص التعارف بين أعضاء هيئة التدريس والباحثين في شعب التاريخ بكافة جامعات العالم، إذ يمكن تبادل الآراء والاستفادة من بعضهم البعض(11).

4 ــ إمكانية البحث عن المعلومات التي تهم التاريخ والحقول المرتبطة به علما بأنه من بين 180 دولة مشتركة في الإنترنيت، تمتلك المؤسسات العلمية من جامعات ومعاهد ودور نشر نصيبا هاما يقوم بمساندة الباحث ومده بالمعلومات مجانا. وهناك مؤسسات لها مواقع في الإنترنيت مهمتها مد الباحثين ببعض المعلومات المفيدة عن برامجها الثقافية كالأمم المتحدة والمجمع الثقافي بأبي ظبي

والمؤسسات العلمية عموما، بل إن هناك بعض الدول التي أسست مواقع على الإنترنيت تعرف بتاريخها وعاداتها وآثارها كما يبدو من خلال بعض عناوين المواقع التاريخية(12).

5 ـ إمكانية زيارة المكتبات والاطلاع على المصادر والوثائق التاريخية دون تكلف مشاق الرحلة إلى البلد الذي توجد فيه دور الوثائق، فمثلا يمكن للمؤرخ أن يلج مكتبة الكونغرس عبر موقعها(13)، فضلا عن سائر المكتبات الأخرى والمؤسسات العلمية التي تمتلك موقعا على الإنترنيت.

6 ـ إمكانية زيارة الباحث في التاريخ عن طريق الإنترنيت لبعض المعالم الأثرية والمتاحف التاريخية مثل متحف اللوفر في فرنسا أو المتحف المصري أو متاحف واشنطن وغيرها دون أدنى قدر من التعب أو تكبد السفر ودون تحمل التكاليف الباهظة للقيام بهذه الرحلات. وفي هذا المنحى نشرت جريدة الشرق الأوسط مقالا بعنوان (فنون العالم وآثاره "تحت سقف واحد" : 33 ألف متحف من الشرق والغرب في موقع جديد على الإنترنيت).

وقد أبرز صاحب المقال أن الزائر لهذا الموقع يمكنه أن يشاهد فنون وآثار ومخطوطات العالم القديم، ومنها ما يخص العالم الإسلامي الذي تتناثر مخطوطاته وتحفه الأثرية في كبريات المتاحف العالمية مثل متحف برلين والمتحف البريطاني ومتحف "فكتوريا أند ألبرت" في لندن و"الميتروبولتان" في نيويورك و"اللوفر" في باريس و"الأرميتاج" في موسكو. ويعالج الموقع تاريخ المجموعات الفنية التي حصل عليها كل متحف، فعلى سبيل المثال في متحف "الميتروبوليتان" توجد بعض الآثار الإسلامية التركية التي حصل عليها المتحف المذكور سنة 1874م . ويشتمل نفس المتحف على نسخ مخطوطة الشاه طهماسب (1514 ـ 1576) أبرزها صورة جنازة اسفنديار. كما يضم أيضا مجموعة من روائع عصر السلطان سليمان القانوني من الحقبة العثمانية باعتبارها من نفائس المتحف الأمريكي.

أما بخصوص التاريخ المصري القديم فيضم هذا الموقع 36 ألف قطعة يتراوح تاريخها ما بين عهد الأسرة الأولى من التاريخ الفرعوني لتصل حتى العصر الروماني. ومن أهم القطع الفرعونية التي يقدمها هذا الموقع الإلكتروني على شاشته الإلكترونية تمثال سنوسرت الثالث من الدولة القديمة. بل ثمة موقع يتعرض لتاريخ الأزياء وتطورها منذ العصور القديمة حتى الحقبة الحديثة(14).

7 ـ توفير المرجع الإلكتروني : بإمكان المؤرخ اليوم أن يقرأ وهو جالس في مكتبة الموسوعات العلمية والثقافية مثل دائرة المعارف البريطانية ، وأن يزور المعالم الأثرية والمتاحف التاريخية وما تكتنزه من معلومات مع بعض الشروحات المزودة بالصور أحيانا، وهي إما صور ثابتة أو صور فيديو متحركة.

8 ـ الاطلاع على أحدث الإصدارات من الكتب والمجلات والدوريات فيصبح بإمكان الباحث أن يختار منها أحدث ما أنتج في الحقل التاريخي، وبإمكانه

أن يطلع على فهارس الكتب الجديدة أو اقتناؤها بكيفية شخصية أو عن طريق المؤسسة التي ينتمي إليها، كما أصبح بإمكانه استخدام الإنترنيت في الوصول إلى الكتب المنشورة من مصدرها دون الخضوع لمقاييس باعة الكتب الذين يعرضون الكتب القابلة للرواج فقط من غير استشارات علمية مع أمين المكتبة الذي يقتني الكتب والوثائق وفق الحاجيات العلمية.

وقد لعبت الصفحة الإعلامية "وب" دورا هاما في نشر الكتب – بما فيها كتب التاريخ – إذ اختصرت مراحل النشر ووضع المعلومات مباشرة من مؤلفها تحت تصرف الباحث في الإنترنيت. ولم تعد المقالات المنشورة على "الوب" تخضع لتقييم أية لجنة علمية وأصبح بإمكان أي مؤلف لم يفلح في إقناع ناشر ما بتبني مخطوطه أن يبثه عبر الإنترنيت دون الخضوع لمقاييس الناشر التجارية(15). وغالبا ما يرفق المؤلف توقيعه عادة بوضع عنوانه الإلكتروني وكذلك رقم هاتفه وعنوانه البريدي، مما يفسح المجال لمناقشته وإرساء حوار علمي معه.

9 ـ إدخال الأطروحات الجامعية والمؤلفات في مواقع Sites عن طريق الشبكة أو عبر السيديروم، واستغلالها في الحاسوب، وهذه إمكانية تشكل ثورة في عالم الأطروحات وتبادلها بعد أن كان يتعذر الحصول عليها سابقا.

10 ـ إمكانية خلق حوار بين المؤرخين عبر ما يعرف بمجموعات المناقشة Chating ومن أهم البرامج المستخدمة فيه بالنسبة لماكنتوش برنامجي هومر وMaven. كما أن برنامج Usnet يسدي خدمة هامة لأن الفكرة التي تقوم عليها تنطلق من مبدإ تكوين مجموعات للمناقشة – كل في مجاله – إذ توجد مجموعة مناقشة في الفلسفة وفي علم النفس وفي التاريخ وفي جميع العلوم والموضوعات. ويستطيع الباحث أن ينتمي إلى هذه المجموعات ويضيف استخدام هذه الخدمة عن طريق برنامج Net scape . كما يمكن للمؤرخ أن يستقبل عبر هذا البرنامج نصوصا وصور فيديو الخ... وأن يقوم بمقابلات مع شخصيات دولية وعالمية معروفة بتجربتها في ميدان البحث التاريخي(16).

وللحصول على خدمة المناقشة لابد للباحث في التاريخ أن يعرف عنوان حاسب مضيف Host. وبناء على ذلك يمكن اختيار إحدى القنوات الكثيرة التي يمكن لأي مستخدم الدخول إليها والتحدث إلى أي مستخدم داخل هذه القناة. ويمكن اعتبار خدمة التحدث Talk أكثر الخدمات إفادة للمؤرخ(17).

11 ـ التعريف بالباحث وإنتاجاته : وفي هذا الصدد يمكن للباحث في التاريخ أن يضع صفحة خاصة به تسمى بالصفحة التعريفية Home page يمكن الوصول إليها عبر شبكة الإنترنيت في جميع أنحاء العالم ويمكن من خلالها التعريف بسيرته العلمية وكتاباته ومؤلفاته، مما يهيئ الفرصة للاتصال به من قبل أكبر عدد من المؤرخين الذين يقاسمونه نفس الاهتمامات العلمية. كما يمكنه هو نفسه الاتصال بالصفحة التعريفية لمؤرخ آخر له نفس الاهتمامات.

12 ــ وبالمثل فإن شبكة المعلومات تمكن الباحث من المشاركة في الندوات والمؤتمرات التاريخية عبر الكاميرا – فيديو دون أن يكلف نفسه عناء السفر إذا تعذر الوصول إلى مكان إقامة المؤتمر لسبب أو لآخر. كما يمكنه إعداد وتنظيم الندوات وتتبع تفاصيلها وتطورها عبر الإنترنيت بدلا من المراسلات التقليدية.

13 ــ ومن نافلة القول إن شبكة المعلومات تشكل بالنسبة للتاريخ – على غرار كل العلوم – وسيلة للبحث، إذ يمكن من خلال صفحات "الوب" مثل " ياهو" أو " انفوسيك" وغيرها كتابة الكلمة المراد بحث مجالها ليحصل الباحث على معلومات جديدة بخصوصها.

14 ــ عن طريق الصحافة المنبثة في شبكة الإنترنيت ، يمكن للباحث أن يطلع يوميا على مختلف الصفحات الثقافية التي تحوي أخبارا تهم مجال تخصصه، فيطلع على ما كان يعتبر سابقا صعب التحقيق لانعدام بعض الصحف الدولية في بلده.

15 ــ وغني عن القول إن الإنترنيت في حد ذاته أصبح مصدرا إضافيا يضيفه الباحث إلى مجموع مصادره. ولا غرو فقد أصبحت تنتشر في هوامش البحوث في الجامعات الغربية الإشارات المرجعية للوثائق المستمدة من الإنترنيت بإضافة تاريخ زيارة الموقع http\www (18).

وعلى الرغم من هذه الإفادات وغيرها فإلى أي مستوى يمكن أن نموضع المعلومات المنتشرة على شبكة الإنترنيت، خاصة وأن من بين مهام المؤرخ الأساسية تمحيص المعلومة وإخضاعها للنقد قبل إثبات صحتها ؟

كما في الوثائق الورقية، ينبغي للباحث في حقل التاريخ الذي يتعامل مع الإنترنيت شأنه في ذلك شأن تعامله مع المعطيات والوثائق الورقية أن يستعمل الحس النقدي بالنسبة للنصوص الإلكترونية المشحونة بالعواطف، أو المنطلقة من المواقف الإيديولوجية.فالمعلومات الواردة في المواقع لا تشكل ضمانة فعلية لموضوعية الموقع، ويمكن أن نسوق في هذا الصدد المواقع التي تصف "مارتن لوثر" بالخيانة العظمى أو قائمة المواقع التاريخية المختارة لخدمة وجهة النظر الصهيونية، وموقع الحركة المناهضة للسود في الولايات المتحدة الأمريكية(19).

وبالمثل ينبغي قبل استخدام المعلومات الواردة في موقع ما من التدقيق بعنوان الموقع واسم الجهاز الخادم له، كما يصبح مقياس اللغة من حيث سلامتها أو أخطاؤها معيارا لتقدير جدية الموقع وقيمته العلمية.

ومما يزيد من ضرورة استعمال الحس النقدي تجاه المعلومات التي تقدمها الشبكة المعلوماتية، أننا في حين نجد في النص الورقي أو المرجع العادي إشارات مرجعية وهوامش توثيقية، فإننا في مواقع " الوب" لا نجد إلا إحالات مرجعية هي في غالب الأحيان روابط تحيل إلى مواقع أخرى. ويتمخض عن ذلك أن القراءة

ليست تسلسلية كما هي في الكتاب العادي، بل إنها تنطلق من رابط إلى آخر حسب الاهتمامات المتنوعة (20).

وعلى العموم فإن على الباحث أن يتعرف مسبقا على مختلف المواقع التي تتضمن معطيات تاريخية للوقوف على قيمتها التوثيقية. ونظرا للكيفية التي هي عليها المعلومات المتوفرة في الإنترنيت وقيمتها المتفاوتة، يبرز اليوم نشاط جديد لأخصائي المعلومات، وهو إنشاء مواقع مرجعية حول بعض الموضوعات المستجدة على غرار البيبلوغرافيا تحيل الباحث إلى أفضل المواقع على الشبكة العالمية " الوب" بعد أن يكون الموثق قد اطلع عليها وقيّمها وتأكد من حداثتها. ومن الأمثلة على هذا العمل ما يقوم به قسم المراجع في مكتبة الكونغرس الذي ينتقي مصادر معلومات متوفرة على الإنترنيت ليقدمها مصنفة ومبوبة في مجالات شتى كالدراسات التاريخية والدراسات الأنتروبولوجية والأدبية وغيرها.

وعلى كل حال فإن المهم بالنسبة لمصادر المعلومات في الإنترنيت فيما يتعلق بالتاريخ هو تقييم المواقع ومضمونها عوض الاقتصار على لوائح أسمائها ويمكن أن يطرح الباحث هذه التساؤلات:

- هل يحدد الموقع تاريخ إنشائه ؟
- هل يذكر تاريخ آخر تحديث له ؟
- هل يذكر وتيرة التحديث ؟ (21)

وإذا ظهرت صفحة المؤلف ضمن هيئة علمية فينبغي التحقق من نوع العلاقة بين الصفحة الشخصية وموقع الهيئة لتحديد ما إذا كانت الهيئة قد تبنت صفحة المؤلف. ومن المهم لتحديد العلاقة بين صفحة المؤلف والهيئة العلمية مقارنة عنوان الموقعين هل هما على الجهاز الخادم نفسه. ويمكن التعرف على الجهاز الخادم والتأكد من اسم الهيأة التي تملكه باستخدام برنامج Whois (22). ولتجاوز إمكانية عدم صحة المعلومات يجب العودة إلى المصدر لتقدير الإسناد والمسؤولية الفكرية. فمن خلال التقييم الذكي، يضع مستخدم الموقع مسافة بينه وبين المعلومات، وبذلك يتحول من مستهلك سلبي لكل ما يقدمه مجتمع المعلومات إلى مستخدم واع باختيار أفضل المصادر ومقارنة المعلومات المتوفرة.

وإذا كانت كل الإيجابيات التي أتينا على ذكرها تجعل من شبكة الإنترنيت أداة بحث ضرورية للمؤرخ وتساعده بامتياز على تذليل العديد من الصعوبات المعرفية والتقنية، فهذا لا يعني أننا نعتبرها مفتاحا سحريا للبحث التاريخي. بل إلى جانب ضرورة انتهاج المسلك النقدي الذي أشرنا إليه سابقا والذي يمكن أن يجعل من الإنترنيت أداة موضوعية في البحث التاريخي، ينبغي للباحث في التاريخ أن يضع في عين الاعتبار أن بعض مصادر المعرفة في نظام الإنترنيت تظل حكرا بيد الشركات التجارية الكبرى التي لا يهمها سوى تحقيق الأرباح(23)، ولذلك يصبح كمن يبحث عن سلعة معروضة ينطبق عليها ما ينطبق على السلع المادية، وأحيانا

يستلزم الدخول إلى بعض المواقع نفقات باهظة لا يتحملها الباحث العربي لندرة إمكانياته المادية، فضلا عن تعارضها مع توجهاته العلمية الصرفة.

من جهة أخرى ، فإن الشبكة المعلوماتية العالمية جزء لا يتجزأ من نظام العولمة، وبما أن هذا الأخير لا يعترف بالحدود الثقافية، وينظر إلى العالم على أنه "قرية كونية"، ويسعى إلى رؤية التاريخ بمنظار "المجموعة الإنسانية" بدل "تاريخ الدول" فإن الشركات التي تخضع لتوجهاته المعرفية تسعى إلى خدمة هذه القضية مما يؤدي حتما إلى سلب خصوصيات التاريخ العربي الذي – كما هو معروف- تاريخ قبائل ودولة ثم أمة لها خصوصيتها التاريخية(24)، والنتيجة أن مقولة "تاريخ المجموعة الإنسانية" هي في نهاية المطاف محاولة تسعى إلى إقصاء الخصوصيات التاريخية لمجتمعنا العربي وإدماجه قسرا في القرية الكونية، وجعله خاضعا للرؤية الأمريكية وتوجهات الشركات التجارية ما دامت العولمة في حد ذاتها وجه من وجوه الهيمنة الثقافية الأمريكية(25). ولا غرو فإن ثقافة العولمة التي تقوم على تفوق في التقانة تحاول أن تسخر هذا التفوق لإبراز ذاتها وإقصاء الآخر بما يعني ذلك إقصاء تاريخه وهويته فتصبح التكنولوجيا أداة قهر ومحاولة من الأمة المصنعة لطمس تاريخ الأمم غير المصنعة بما ينطوي عليه التقدم التكنولوجي من زيادة درجة النمطية Standarisation في عملية الإنتاج علما بأن النمطية نقيض التميز(26).

وبالمثل فإن شبكة الإنترنيت قد تصبح سلاحا خطيرا يعمل ضد تيار البحث الموضوعي في التاريخ العربي إذا لم يكن الباحث متسلحا باليقظة. فهناك بعض المواقع الموجودة على هذه الشبكة تسعى إلى تشويه العرب وحضارتهم وتاريخهم وتعمل على اختراق هويتهم كما هو الحال في بعض المواقع الصهيونية، لذلك يمكن القول إن شبكة الإنترنيت سلاح ذو حدين وأن معرفة التعامل معه تبقى ضرورية في البحث في العلوم الاجتماعية عموما والبحث التاريخي بصفة خاصة.

ومن بين العوائق المرتبطة باستخدام الإنترنيت في البحث هو ما يجده الباحث من تفرعات لنفس الموقع إذ يرتبط به عدد كبير من الإحالات التي تحيل على مواقع أخرى. وتكون هذه المواقع داخلية أحيانا، وخارجية أحيانا أخرى، مما يزيد في تعقيد العمل. وقد يجد الباحث صعوبة في الوصول إلى المواقع المحال عليها إما لأسباب تقنية أو لكلفتها، فيتعذر عليه مواصلة البحث عن المعلومات التي يسعى للحصول عليها.

كما أن المعلومات الواردة في الشبكة المعلوماتية لا تقدم بكيفية مخططة ومصممة كإيراد مقدمة الموضوع الذي يتم البحث عنه وأقسامه وفصوله ومحتوياته، وإنما تأتي حسب التساؤلات والاهتمامات التي يطرحها الباحث(27).

وغني عن القول إن اللغة الإنجليزية المستعملة في الإنترنيت تعمل على تهميش اللغة العربية، علما بأن العديد من الباحثين العرب لا يتقنون هذه اللغة، مما

يشكل عائقا في الاستفادة من خدمات الشبكة المعلوماتية. وفي هذا الصدد يجـــب أن تتضافر جهود برنامج "صخر" حتى تكون للغة العربية مكانتها في هذه الشبكة.

ونختم هذا البحث بذكر بعض سمات مستقبل المؤرخ في السنوات القادمـــة من الألفية الثالثة التي نرى أنها ستفرض نفسها بفعـــل الثـــورة المعلوماتيـــة علـــى توجهاته المعرفية وتقنيات البحث التاريخي.

1 ــ إن المؤرخ سيصبح مؤرخا محوسبا، وكل مـــؤرخ لا يســـتغل شـــبكة الأنترنيت استغلالا مكثفا في أبحاثه حسب المواصفات التي أدرجناها يصبـــح فـــي عداد المؤرخ التقليدي مهما بلغ نضجه الفكري، وإن كان هذا لا يعني بالطبع التخلي عن الكتاب الورقي.

2 ــ سيندمج المؤرخ في ما يعرف في لغة المعلوماتية بالشبكة، بمعنـــى أن العمل الفردي سيصبح متجاوزا، وسيصبح المؤرخ مضطرا للاشـــتغال فـــي إطـــار جماعي عن طريق إقامة شراكة في الاتصال وتبـــادل المعلومـــات والدخـــول فـــي مجموعات الحوار لمناقشة قضايا تاريخية أو إرسال واستقبال ملفات عـــن طريـــق الإنترنيت.

3 ــ سيصبح المؤرخ زائرا للمواقع من مكتبه ويســـتغني عـــن الرحـــلات العلمية كما كان من قبل وفي حالة قيامه برحلة فإنه يكون قد أعدّ لها الطريق عـــن الإنترنيت.

4 ــ يتحول المؤرخ من قارئ مقتصر على النص الورقي إلى قارئ للنـــص الإلكتروني ومتلق لمعلومات رقمية Digital تنتقل بواسطة الأقمار الاصطناعية.

5 ــ سيتحول المؤرخ من الاعتماد على النص المكتوب إلى الاعتماد أيضـــا على الصورة المرئية.

6 ــ ستدخل في أبحاث المؤرخ الهوامش التي تشير إلى مرجعيـــة الشـــبكة المعلوماتية إلى جانب الهوامش الأخرى المعروفة من مراجع وصحـــف ومجـــلات وغيرها.

وختاما نقترح تأسيس موقع للتاريخ المغربي يتكون من الخطوط الرئيســـية التي تشمل التطورات الحضارية الكبرى مع تخزين مكثـــف لتراثـــه الـــذي يشـــمل المخطوطات وصور تشمل أبرز المعالم الأثرية والفنية، علـــى أن يكـــون الموقـــع مشكلا من عناصر التنظيم الآتية :

ــ تعريف وتقديم الموقع بشكل واضح في عنوانه والأسطر الآلية .

ــ أن يتسم أسلوب الكتابة المرئية بالبساطة والوضوح.

ــ أن يقسم البرنامج حسب المراحل الأساسية في تاريخ المغرب.

ــ أن يشتمل على فهرس للأعلام المغاربة والأماكن والقبائل.

ــ أن يقسم حسب الموضوعات أو حسب الأشـــخاص، أو حســـب الكلمـــة المراد بحثها وذلك تسهيلا لمهمة المستعمل.

ـ توزع أقسام المعلومات على شكل أيقونات في مساحة الشاشة الأولى على أن يكون التوزيع واضحا ويسهل فهمه من نظرة واحدة.
ـ يراعى أيضا سهولة الانتقال من صفحة إلى أخرى، مع إمكانية العودة إلى الصفحة الأولى بنقرة واحدة في أي لحظة يرغب فيها الزائر للموقع.
ـ ينبغي أن يتضمن معلومات في أشكال متنوعة من نصوص وصور فيديو وتسجيلات صوتية (الراوي)، لها وظيفة معرفية وتربوية.
ـ ضرورة وجود روابط خارجية تحيل إلى مواقع أخرى قيّمة ذات علاقة بمعلومات الموقع وتسمح بالتعمق فيها.
ـ كما ندعو من أجل تعميم فوائد الإنترنيت إلى إنشاء الصفحات التعريفية لكل أساتذة التاريخ بالجامعات المغربية وتعميم هذه الشبكة على كل الكليات والمعاهد حتى تصبح هذه المؤسسات الأكاديمية معولماتية Informatisée.

بعض عناوين الصفحات الإعلامية المفيدة في البحث التاريخي

ملحق :

Huttp : / www. Arab.net تتضمن هذه الصفحة معلومات عن الدول العربية وتاريخها.
http : // ritsec-www.com.eg تتضمن هذه الصفحة معلومات عن المتحف المصري
http : // 163.121.10.41 يتضمن معلومات وصور عن الفراعنة وبعض القطع الأثرية القديمة.
http : // www.Paris. org : 80 / Musees/Louvre/ يسمح لمستخدم الأنترنيت الدخول مباشرة إلى متحف اللوفر في باريس.
http : // www.cs.und.edu/ ~ kandoganL/FTAL/Ataturk/ataturk.html. تتضمن ملامح من التاريخ التركي خاصة في عهد مصطفى كمال أتاتورك
Gopher : // Gopher.cheops.anu.edu.au/11/Researchfacilities/HISTORY/Aushistory هذه الصفحة خاصة بالتاريخ الأسترالي ونيوزيلندا
http : // schoolNet.carleton.ca/schoolnet/english/ canadisk.html هذه الصفحة تحتوي مئات من الصور عن تاريخ كندا.
http : // darkwing.yoregon.edu/ ~ Felsing /Jstuff / history.html. هذه الصفحة تتضمن ملامح من التاريخ الياباني.
http : // history. Cc. Ukans. Edu / history / index.html. تتضمن بعض الأماكن بها تاريخ عن دول أو شخصيات تاريخية.

الهوامـش :

1) – Whitney (F) : Elements of research. New York 1946, p : 18.

2) — أحمد بدر: أصول البحث العلمي ومناهجه. طبعة الكويت 1978 (ط 4)، منشورات دار القلم ،بيروت – لبنان، ص:19.

3) — مقدمة ابن خلدون . دار إحياء التراث العربي ، بيروت (ط 3) (دون تاريخ)، ص: 9 .

4) — نفسه ، ص : 4.

5) — نحيل القارئ على أعمال الندوة العالمية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية في موضوع "العرب والعولمة" ونشرتها بنفس العنوان. طبعة بيروت 1998، ص: 23 — 47.

6) — قبل بداية استخدام الحواسيب ، كانت عملية التعديل والإضافات تشكل مشكلا يستهلك وقتا للباحث. وبفضل الحاسوب، أصبحت عملية "اختمار" البحث عن طريق الاحتفاظ به باسم معين ثم الرجوع إليه وتعديله عدة مرات وفي أي وقت يختاره الباحث تطورا إيجابيا في البحث التاريخي.

7) — تتم هذه العملية بالنقر على تنسق ثم اختيار "فرز".

8) — تبرز أهمية الحاسوب في استخدام الجداول إذا عرفنا أن الكتابة التاريخية المعاصرة وما عرفته من تطورات علمية كبيرة أصبحت – كما تدعو إلى ذلك مدرسة الحوليات الفرنسية – تعتمد كثيرا على الجداول.

9) مود اسطفان هاشم : منهجية ومقاييس تقييم المواقع على الشبكة العالمية العنكبوتية "وب". مجلة منبر الحوار العدد 37 ، شتاء 1999 ، ص: 100.

10) — أحمد ريان : خدمات الإنترنيت . طبعة أبو ظبي 1997 (ط 1) منشورات المجمع الثقافي ، ص: 38.

11) — أصبحت عملية تبادل المحاضرات بين أساتذة الجامعات عبر الإنترنيت أمرا مألوفا اليوم.

12) — أنظر الجدول الوارد في آخر هذا البحث.

13) — عنوان موقعها هو : .lcneb.loc.gov

14) — محمد الشافعي ، جريدة الشرق الأوسط ، العدد 7752 بتاريخ الجمعة 13 ذي القعدة 1420هـ / 18 فبراير 2000، ص:24 ، عمود 2.

15) — مود اسطفان هاشم : م. س ، ص: 93 ، 102.

16) — أحمد ريان : م. س ، ص: 42.

17) — نفسه ، ص : 115.

18) — من المؤسف أن الأطروحات الجامعية العربية في مجال التاريخ لا تزال تخلو من الهوامش الإلكترونية المأخوذة من الإنترنيت.

19) — مود اسطفان هاشم : م. س ، ص: 107.

20) — نفسه ، ص: 109.

21) — نفسه ، ص: 104.

22) — نفسه ، ص: 103.

23) — سليمان نجم خلف : العولمة الثقافية: تصور نظري لدراسة نموذج مجتمع الخليج والجزيرة العربية. المجلة العربية للعلوم الإنسانية، عدد 61 ، سنة 16 ، شتاء 1998 ، ص: 60.

24) — يؤكد القرآن الكريم هذه الخصوصية في قوله عز وجل : (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ، ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة) . سورة المائدة ، الآية : 51.

25) — محمد عابد الجابري : العولمة والهوية الثقافية . مجلة فكر ونقد ، العدد 6، فبراير 1998 ، ص: 8.

26) — جلال أمين : العولمة والهوية الثقافية والمجتمع التكنولوجي الحديث. مجلة المستقبل العربي، عدد 234 ، غشت 1998 ، ص: 62.